## مفهوم المحبة والفناء

## في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

للمحبة والفناء مكانة رفيعة عالية في جميع الرسالات السماوية على العموم أما في الإسلام فالمحبة "المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون" [١] وهي "الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات " [٢] "وهي روح الإيمان والأعمال ، والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه ، تحمل أثقال السائرين " [٣] إلى الله تعالى ليضعوا همهم وأملهم بين يديه سبحانه فيكونوا في معيته ، " وقد قضى الله ــ يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة : أن المرء مع من أحب "[٤] . " فلولا الحب ما دارت الأفلاك ، ولا سبحت بحمد فاطرها الأرض والسموات وما فيها من أنواع المخلوقات " [٥] ، فسبحان من ( تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليما غفوراً ) [٦] .

---

[١] الإمـــام ( أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه ) مدارج السالكين بين منازل إياك نعـبد وإيـــاك نسـتعين ، ج٣ ، صـــ ٦، دار إحياء الكتب العربية ــ فيصل عيسى البابي الحلبي.

[٢] الإمـــام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت ( ٥٠٥هـــ ) إحياء علوم الدين ج٤ ص ١٣١ دار الصابوني ــ القاهرة .

[٣] ابن القيم : نفسه السابق ج٣ ص ٧ .

[٤] ابن القيم : المدارج ج٤ ص ٧ .

[٥] ابـن القـيم ت ( ٧٥١هـــ ) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ) ص ٢٤٤ دار الريان للتراث ، الطبعة ٤ تحقيق محب الدين الخطيب سنة ١٤٠٧هـ .

[٦] سورة الإسراء : ٤٤ .

ولذا فإن " الحب الإلهي ليس شطحا أو خيالا وإنما هو ثمرة حقيقية للإيمان القوي والتدين العميق وينعكس على حيـاة الفـرد تهذيبـاً وعلى حيـاة المجتمع ارتقاء " [1] . وقد حرص الدين الإسلامي الحنيف أن يظهر حقيقة العلاقة السائدة بين الله تعالى وبين مخلوقاته وبينهم وبين بعض ولا سيما الإنسان من حيث هو مكلف بالأمانات الشرعية فأماط اللثام له عن أصل الدين وأن أصله مكارم الأخلاق ولذا فقد " ذكر الله تعالي الحب المتبادل [2] . بين العبد والرب في قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " [3] ويربط الله بين الحب وقوة الإيمان في قوله تعالى : " وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ" [4] ويربط تعالى بينه وبين حب الرسول وطاعته في قوله تعالى : " قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ " [5] ولكن المحبة لا تصل إلى أقصى غايتها إلا بالمعرفة ومن هنا فقد أصبح لزاما علينا أن نكتشف طريق المحبة من أوله بأن نضع سؤالا هاما في البداية . لماذا الحب في الله ؟ ، وللإجابة عن هذا السؤال يجب أن نعرّف أولا بالله تعالى المستحق للعبادة وبكل ما يتعلق به من أسماء وصفات حتى نصل إلى المفهوم الأسمى والأرقى للمحبة الإلهية .

---

[1] التفتازانـي ( دكـتور أبـو الوفا الغنيمي ) مدخل إلى التصوف ص٢١٧ دار الثقافة للطبع والنشر والتوزيع ، ط٣ سنة ١٩٨٩م .

[2] التفتازاني ( دكتور أبو الوفا ) السابق ص ٢١٧ .

[3] سورة المائدة : ٥٤ .

[4] سورة البقرة : ١٦٥ .

[5] سورة آل عمران : ٣١ .

وهي لا تتأتي إلا بالتعرف على الله ولا يخفى أن كثيرا من البشر قد عرف ضرورة الاعتقاد بوجود إله مدبر للكون حكيم يتحكم فيه من خلال صحيح الاعتقاد [ بقضايا الحق البدهية المسلمة بالعقل والسمع والفطرة ، والتي يعقد عليها الإنسان قلبه ، أو يثني عليها صدره جازماً بصحتها ، قاطعا بوجودها وثبوتها،لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبدا " [1] .

ورغم اختلاف الناس واعتقادهم بالإله الحق فمنهم من عبد بشرا مثله ومنهم من عبد حجرا ومنهم من عبد الشمس والقمر والنجوم والكواكب ومنهم من عبد الله تعالى ومنهم من عبد كل ذلك خلطا منه وتشويشا يدل على الضلال وعدم الاهتداء إلى النور الحق ولكن طائفة بعينها قد عرفت حقيقة ما تتوجه إليه فاهتدت إلى الله بإذنه وبرحمته وبما أرسل من رسل تسوق الأدلة لتهدي الناس إليه تعالى وتعرفهم به وبما يستحق من صفات الجمال والجلال " ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء ، واقتراب المسافة جدا قد يعطل الرؤية ما اختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد " [2] . ( أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ) [3] ، ( أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) [4] ( قُلْ آمَنَّا بِاللَّـهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا) [5] . (قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلَّهِ ) [6] ( قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ ) [7]

---

[1] الشيخ محمد الغزالي (عقيدة المسلم) ، دار الريان للتراث ص ٢٦ وما بعدها ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م

[2] الغزالي ( محمد ) عقيدة المسلم ص ١٨ .

[3] سورة إبراهيم : ١٠ .

[4] سورة يوسف : ٣٩ .

[5] سورة آل عمران : ٨٤ .

[6] سورة الأنعام : ١٢ .

[7] سورة الأنعام : ١٤ .

( قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهِ) [1] (قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ* قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ) [2] (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ) [3] (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ) [4] (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) [5] . (قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ) [6] (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ *اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ) [7] والذي يظهر من آيات الله في كتابه العزيز أنه تعالى تدرج مع الأفهام ليأخذها إلى حيث خيرها وفلاحها أما من ضعف عقله وفهمه فلا أقل من أن يفهم وأن يبصر حتى يصل إلى الله تعالى وهو نفس الأمر الذي تواردت عليه أنوار الرسالة المحمدية فقد أخذت باليد وساقت الرجل المتعسرة

---

[1] سورة الأنعام : ١٩ .

[2] سورة الأنعام : ( ٦٣ ــ ٦٤ ) .

[3] سورة يونس : ٣١ .

[4] سورة يونس : ( ٣٤ ــ ٣٥ ) .

[5] سورة الإسراء : ١١١ .

[6] سورة المؤمنون : ( ٨٤ ــ ٨٩ ) .

[7] سورة الإخلاص .

حـــتى تتـــير لهـــا طريقها فأعلمت أن لله أسماء يتصف بها تدل على جلاله وكمالـــه وجماله من اهتدى بها فقد هدي ومن تعلمها فقد استنار ( " فالخالق المتصـــرف جل وعلا تعرف إلى خلقه بأسماء وصفات تليق بجلاله ، يحسن بالمؤمـــن حفظهـــا تـــبركا بها وتلذذا بذكرها وتعظيما لقدرها ") [1] فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لله تسعةُ وتسعون اسما مائة إلا واحداً لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر " [2] .

فإن إلها بهذا القدر من الجمال والجلال والكمال والإنعام لا تحويه أو تحتويه آيات الشكر مهما بلغت ومهما بلغ قائلها . ولهذا فإنه سبحانه لا نحصي ثناءا عليه هو كما أثنى على نفسه وبذلك أيضا لابد للإنسان لكي يؤدي نعمة الشكر على وجهها أن يسبح الله ويحمده ويقدسه حبا لذات جلاله ولن يصل بهذا الحب بحيث ينال به الرضا التام حتى يتوجه بكافة جوارحه وفي كافة أحواله بالعبادة التامة لله وحده مع تمام الذل بتمام الخضوع فإن الله تعالى قد تجلت حكمته في خلق الإنسان فقد خلقه " ليعبده حبا فيه ، ورغبة في قربه ، لذلك جعله الله حرا مختارا ، له أن يعبد ، وله ألا يعبد فإذا ما عبده أثبت له محبته ، وأثبت استحقاقه في العبادة والطاعة " [3] والقرآن الكريم قد صال وجال مع الحب ليثبت أنه الدافع وما ترك الله في كتابه الكريم موضعا إلا نبه فيه على أن أصل الأعمال ومنتهاها يدور حول باب

---

[1] البنا ( الإمام الشهيد حسن ) مجموعة الرسائل : ص ٤١٨ .

[2] رواه البخاري ــ باب لا حول ولا قوة إلا بالله ج٥ ص ٢٣٥٤ رقم ٦٠٤٧ ، صحيح مسلم ج٤ ص ٢٠٦٣ باب الحث على ذكر الله ــ كتاب ــ الدعاء والتوبة والاستغفار .

[3] خلـيفة ( عبد الله ) هل تحب الله ص ٥٥ ، الكتاب الذهبي ــ العدد (٥) مايو ، ١٩٨٧م ــ مؤسسة روزاليوسف .

الحب ويقف على عتبته وينطلق منه ولذا علينا أن نقف معه ونستعرض أنوار ما فيه .

## أولا : المحبة في القرآن الكريم :

لقد حرص القرآن الكريم على أن ينير الطريق للسالكين في درب المحبة من أجل علاقة أسمى مع الله ومن أجل علاقة أنقى مع النفس ومن أجل علاقة أبقى مع الناس فما ترك أمرا يتقرب فيه العبد إلى الله إلا أظهر محبته له فيه وما ترك أمرا يكرهه الله ويكره أن يرى عبده فيه إلا أعلمه بغضه له فجاء الكتاب روضة للمحبين ونبراسا للمشتاقين للوصول إلى حضرة القرب من رضا الذات العلية جل شأنها . فقد وردت كلمة المحبة ومشتقاتها في القرآن الكريم ثلاثاً وثمانين مرة [1] ففي قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [2] يثبت الحب منه تعالى لعباده ومنهم له حبا فريدا رحمة ووهبا منه وهداية واكتسابا منهم بما فعلوا .

## ثانيا : المحبة السنة النبوية :

وتعددت أيضا الأحاديث التي تسير مع القرآن الكريم والتي تتناول محبة الله والرسول صلوات الله عليه ، فكما جاء في الصحيحين " والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس.

---

(1) عبد الباقي ( محمد فؤاد ) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ( دار الحديث ــ القاهرة ) ط١ سنة ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

(2) سورة المائدة : ٥٤ .

أجمعين " وغيره من الأحاديث التي تحض على محبة صحابته وقرابته صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنون من هنا " لا يحبون شيئا حبهم لله ، لا أنفسهم ولا سواهم ، لا أشخاصا ولا اعتبارات ولا شارات ولا قيما من قيم هذه الأرض التي يجري ورائها الناس " [1] . وصدق الله العظيم " وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِّلَّهِ " [2] .

" أشد حبا لله ،حبا مطلقا من كل موازنة ،ومن كل قيد ، أشد حبا لله من كل حب يتجهون به إلى سواه والتعبير هنا بالحب تعبير جميل ، فوق أنه تعبير صادق ، فالصلة بين المؤمن الحق وبين الله هي صلة الحب صلة الوشيجة القلبية ، والتجاذب الروحي صلة المودة والقربى ، صلة الوجدان المشدود بعاطفـــة الحب المشرق الودود " [3] .

وإن من يمعن النظر في السنة المطهرة يجدها حافلة بكل آيات المحبة والحث عليها فعن أنس رضي الله عنه ــ عن النبي صلى الله وسلم قال : " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان وطعمه : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب في الله ، وأن توقد نـــار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئا " [4] . ويتضح من الحديث أن هذه الخصال الثلاث هي سبب التلذذ والشعور بحلاوة الإيمان " فمحبة العبد لله ورسوله تتمثل في تنفيذ منهج الإسلام ، ومحبة المؤمن لأخيه المؤمن تكون بالإخلاص له وتقديم المساعدة له ، وحفظ سره ومداومة صلته وبره ، إلى غير ذلك من

---

[1] سيد قطب ( في ظلال القرآن ) دار الشروق الطبعة الشرعية الثانية عشرة سنة ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦ المجلد الأول .

[2] سورة البقرة ( ١٦٥ )

[3] قطب ( سيد ) في ظلال القرآن ص ١٤٨ .

[4] رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ــ أنظر الترغيب ج٢ ص ٢٤ ، البخاري ج١ ص١٤ رقم ١٦ ، مسلم ج١ ص ٦٦ رقم ٢٤٣ .

الصفات الحميدة التي بينها منهج الإسلام "[1] والإسلام معناه : الاستسلام لله في أمره ونهيه وخيره على لسان الوحي ، فمن أسلم وجهه وقلبه وجوارحه لله في كل أمر فهو المسلم " [2] (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [3] وهذا يسوقنا إلى حقيقة مسلمة هادية من الضلال إلى النور فإننا إذا قلنا : لا إله إلا الله دخل في ذلك ضمنا معان معينة : فكأنني قلت : لا مطمأن إليه ، ولا مستجار به ، ولا محبوب ، ومعبود ، إلا الله ، وفعلا فإن القرآن علمنا أن هذه المعاني كلها من خصائص الذات الإلهية ... وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي تبعا لحب الله بإذنه " [4] " أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة وأحبوني لحب الله إياي وأحبوا آل بيتي لحبي "[5] والمتصفح للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجدهما يمتلآن بآيات الحب والحث عليها وقد ظهر من آيات القرآن والحديث النبوي أن الحب فريضة على كل مسلم وهو يزيد وينقص لأنه متعلق بالإيمان والإيمان يزيد وينقص فكلما ازداد العبد طاعة كلما كان محبوبا على قدر طاعته وفضائله وكلما تحقق العبد أيضا في العبودية وشعر هو بها وتلذذ بها كلما صارت أعمال الطاعات له محبوبة وازداد قربه ومعرفته فعلى قدر ازدياد المعرفة لديه يزداد هو حبا لله تعال فلا حب بدون معرفة كما قرر ذلك العالمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم أشد

---

[1] محيسن ( دكتور محمد محمد سالم ) الفضائل في ضوء الكتاب والسنة ص ٧٧ مؤسسة ـ شباب الجامعة .

[2] سعيد حوّى (الإسلام ) دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة الطبعة الثالثة سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م

[3] سورة الأنعام ( ١٦٢ )

[4] حوّى ( سعيد ) الإسلام ص ٢٧ .

[5] أخرجه الترمذي وحسنة نقلا عن الإسلام السابق ص٢٣ ، سنن الترمذي جـ٥ ص ٦٦٤ رقم ٣٧٨٩ .

الأمة حبا لله وفي الله وبالله من سائر الأمة وكانت صحابته من بعده أشد الأمة حبًا لله أيضا لما رسخ لديهم من معرفة لقدر وجلال الله عز وجل " فالمسلمون كلهم مشتركون في إتيانهم بشهادة أن لا إله إلا الله ، وتفاوتهم في معرفتهم بمضمون هذه الشهادة وقيامهم باطنا وظاهرا أمر لا يحصيه إلا الله عز وجل " [1] والصحابة رضوان الله عليهم كانوا أشد الناس تحققا بلا إله إلا الله محمد رسول الله ولذلك حملوا واجب الدين ونشروه وحفظوه وضربوا أروع الأمثلة في الحب في الله مهاجرين وأنصاراً وتحققوا بمعنى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية امتثالا وطاعة ، قال تعالى " قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"[2] ولذا يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية"هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأعماله " [3] وعلى الناطق بشهادة الإسلام أن يعلم " أن حب الله ليس دعوى باللسان ، ولا هياماً بالوجدان ، إلا أن يصاحبه الاتباع لرسول الله صلى عليه وسلم ، والسير على هداه أو تحقيق منهجه في الحياة ، وأن الإيمان ليس كلمات تقال ، ولا مشاعر تجيش ، ولا شعائر تقام ولكنه طاعة لله والرسول ، وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول .. " [4] .

---

[1] الإمام ــ ابن قيم الجوزية ( طريق الهجرتين وباب السعادتين ) مكتبة أسامة الإسلامية ــ القاهرة .

[2] سورة آل عمران ( ٣١ ) ..

[3] الإمام ــ الحافظ ــ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ( ت ٧٧٤ هـ ) ، تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، صـ ٣٨٤ ــ دارالخير ( بيروت ــ دمشق ــ مكة المكرمة ) ط الثانية ١٤١٢ هـ ــ ١٩٩١م .

[4] قطب ( سيد ) في ظلال القرآن ص ٣٨١ .

## أسباب حصول المحبة :

التوافق والتناسب والتشاكل في الأمور الظاهرة والباطنة ، وهي قد تكون لله ، وقد لا تكون ، بحسب هذه الأوصاف المتناسبة . والمحبة في الله عز وجل ثمرة من ثمرات محبة الله عز وجل ، فإذا قوي حب العبد لله ، أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله ، في علم أو عمل ، وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله ، من خلق حسن أو تأدب بآداب الشرع وقد جاء في الحديث " عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " إذا أحب الله العبد قال لجبريل : قد أحببت فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل عليه السلام ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله قد أحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض " [1] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي " [2] .

هذه المحبة الإلهية العظيمة لا ينالها إلا المتحابون في الله ، ولذلك فالمسلم يحب الأنبياء والأولياء والصديقين والشهداء والصالحين لأنهم قاموا بما يحب الله ، فهو يحبهم لله ، وهذا تمام حبه لله ، فإن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب ، وأيضا يبغض الكفار والمنافقين وأهل

---

[1] الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري ٤ / ١١١ ( كتاب بدء الخلق ) باب ذكر الملائكة ) والبخاري ٨ / ١٤ ( كتاب الأدب ، باب المقه من الله تعالى ) ، ٩ / ١٤٢ كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة ، مسلم ٤ / ٢٠٣٠ ( كتاب البر والصلة والآداب ، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده ) ، سنن الترمذي ٤ / ٣٧٨ ( كتاب تفسير القرآن ــ سورة مريم ) ، المسند (للإمام أحمد) ( ط ــ المعارف ) ١٤ / ٤٨ ، ١٦ / ٢٠٩ ، ١٨ / ٨١ ــ ٨٢ ، ( ط الحلبي ) ٢ / ٥١٤ .

[2] الترغيب والترهيب ( للحافظ عبد العظيم المنذري ) ج٤ ص ٢٦ ــ ضبطه وعلق عليه مصطفى محمد عمارة ــ دار الريان للتراث ، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م .

البدع والمعاصي لأنهم فعلوا ما يكرهه الله ، فهو يبغضهم في الله ، ومن فعل ذلك فقد أحب في الله ، وابغض في الله ، وحسبه الله ونعم الوكيل ولذلك أرجع الله تعالى القول على نوح ورد إليه ما غاب عنه في هول الطوفان قال تعالي : " وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ " [1] . ولأن الرسالة المحمدية هي أتم الرسالات فقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله " [2] .وكذلك جاء في أفراد مسلم قوله صلى الله عليه وسلم " والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم " [3] .لذا فإنه من الضروري معرفة حق الله على العباد وحق العباد على الله تعالى ــ لكي تترتب بذلك درجات المحبة السامية .

## *أولا : حق الله على العباد*

معلوم بالضرورة أن الله تعالى هو رب الناس وهو ملك الناس وهو إله الناس ــ فله الحق الأول على عباده لما يغذوهم به من النعم فله الحق الأسمى وذلك " لأن الإله هو الذي يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالا وإكراما ،

---

[1] سورة هود ( ٤٥ – ٤٧ ).

[2] مجمع الزوائد ج١ ص ٨٩ ( باب من الإيمان الحب لله والبغض لله ) ، الترغيب والترهيب ج٤ ص ١٤ رقم ٤٥٩٢ .

[3] صحيح ابن حبان ،ج١ ص ٤٧٢ ، رقم ٢٣٦ ، ( باب ذكر نفي الإيمان عمن لا يتحاب في الله جل وعلا ، ابن ماجه ج١ ص ٢٦ رقم ٦٨ ، الترمذي ج٤ ، ص ٦٦٤ رقم ٢٥١٠.

والرب هو الذي يرب عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله ومصالحه التي بها كماله " وهذا ما انتظمه القرآن في آياته قال تعالى " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " [1] . وقال " عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ " [2] . وقال " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ" [3] لذا فحق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا فهو الذي عصمك عن العبادة للعبيد ، وأعتقك من التزام الرق لمن له شكل ونديد ، ثم وَجَّه وِجْهَةَ قلبك إليه سبحانه دون ما سواه ، اضرع إلى الذي عصمك من السجود للصنم " فما رحمة ولا بر ولا فضل إلا من الله علينا لفضل تفرده بلا شريك وإنعامه بلا مقابل لذا وجبت محبته وذكره في كل حين حتى يصل الإنسان إلى أقصى غاياته وهي رضى ربه عنه وكما قيل " من كان لله كما يريد كان الله له فوق ما يريد ، ومن أقبل إليه تلقاه من بعيد ومن تصرف بحوله وقوته ألان له الحديد "[4] ولهذا وجبت محبته على العبادة حقا له عليهم وقد فهم أصحاب رسول الله ذلك فقاموا به أحق القيام حتى أنهم تحملوا الصعاب والمشاق في سبيل إقامة هذا الدين ونشره ليعم نور الوجدانية العالم كله وضربوا لذلك الأمثلة ، فهذا أبو عبيده عامر بن الجراح يلتقي مع أبيه في غزوة بدر الكبرى فيقتله حبا لله تعالى وهذا مصعب بن عمير يضرب المثال الرائع أيضا ــ يذكر ابن هشام في سيرته " أن مصعب بن عمير مر برجل من الأنصار يمسك بأخيه أبي عزيز بن عمير أسيرا فيقول له مصعب ــ اشدد وثاقك على أسيرك فإن أمه غنية وستفديه بمال كثير ــ فقال أبو عزيز ــ يا مصعب أنا أخوك ــ فرد عليه مصعب ــ لا بل هو أخي دونك " والدارس لسيرة الصحابة يدرك مدى

---

(1) فاتحة الكتاب : ٥ .

(2) سورة الشورى : ١٠ .

(3) سورة الفرقان : ٥٨ .

(4) الجوزية ( ابن قيم ) ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ــ صـ ٢٥ .

قيامهم بحق الآية الكريمة " مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ " [1] وكما قلنا وكما هو معلوم أن الطاعة أساسها المحبة فلا طاعة إلا بعد محبة ولا محبة إلا بعد معرفة .

" فلابد وأن يتقدم الحب ، ثم بعد ذلك يطيع من أحب " فحب الله ورسوله من حق الله على العباد فمن تمثله تمثل العبودية ، فعن أنس رضي الله عنه : أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : متى الساعة ؟ قال وما أعددت لها ؟ قال : لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله ، قال : أنت مع من أحببت ، قال أنس : ما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : أنت مع من أحببت . قال أنس : فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم" ولابد للحب من مستند يستند إليه فلابد للمحب أن يخشى اللّٰه تعالى مصداقا لقوله" وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ"[2] وقوله " وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ "[3] وفي السنة يقول صلوات الله عليه " من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة " .

وأيضا لابد من الإخلاص لله تعالى اعترافا بحقه مصداقا بقوله تعالى " إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ"[4]ويقول الرسول صلوات الله عليه " إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم " فإذا أخلص الإنسان دينه لله فأحب الله وخشيه وجب عليه الصبر لحكم الله قال تعالى " وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ" [5] وفي السنة عن رسول الله صلى الله عليه

---

[1] سورة النساء (٨٠) .

[2] سورة البقرة (٤٠)

[3] سورة آل عمران (٣٠)

[4] سورة النساء (١٠٥)

[5] سورة البقرة (١٥٦)

وسلم " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " ومن أتم حقوق الله على العباد أن يشكروه ويتوكلوا عليه قال تعالى " فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ"[1] وقال تعالى أيضا " وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"[2] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر "وقال " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا " . فهذه جملة من حق الله على العباد ولكن أبلغ الحق الذي إذا اختل ضاع به كل شيء هو أن لا يشرك بالله شيئا مهما دق أو جلّ ــ قال تعالى " إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ "[3] وجاء في الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه " قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه غيري ، تركته وشركه ".

*ثانيا : حق العباد على الله تعالى*

أما حق العباد على الله تعالى فهو ألا يعذب ــ سبحانه ــ من لا يشركون به شيئا وليس هذا إلا تفضلاً من الله ــ سبحانه وتعالى ورحمة منه وليس فرضا ولا واجبا عليه ولكن الله تعالى ــ تقدست أسماؤه ــ أفرد لجلاله وكماله وجماله من الفضل ما لا يعطيه غيره وكتب على نفسه من الحقوق ما لا يطالب به ــ بل إن ذاته المتصفة بكل صفات الكمال تأبى إلا أن تسبغ الخلق جميعا بمزيد إنعامه وبره وعسى أن يرجع الفارون إليه وأن

---

[1] سورة البقرة (١٥٢)

[2] سورة آل عمران (١٢٢)

[3] النساء (١١٦)

يهتدي الضالون لنوره قال تعالى " كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ "[1] وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم : عن معاذ رضي الله عنه أنه قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله .. ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشركوا به شيئا .. قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس : قال لا تبشرهم فيتكلوا .. ".

وأيضا فإن من عظيم نعمة الله التي جعلها حقا للعبد أن العبد كلما جاء بذنب فتاب عنه ورجع إلى الله موقناً بأن الله يأخذ بالذنب ويجازي به أن يغفر له ويفتح له باب التوبة حبا من الله لعبده التائب ومن هنا كانت التوبة أول أبواب الطريق إلى المحبة التي تربط بين العبد وربه فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال : " أذنب عبد ذنبا ، فقال اللهم . اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنبا ، فعلم أن له ربا ، يغفر الذنب ، ويأخذ به ، ثم عاد فأذنب ، فقال : أي رب ، اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : عبدي أذنب ذنبا ، فعلم أن له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ به ، ثم عاد فأذنب ، فقال : أي رب ، اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : عبدى أذنب ذنبا ، فعلم أن له ربا ، يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، أعمل ما شئت ، فقد غفرت لك " والدارس للكتاب والسنة يري مدى عظيم اللطف الإلهي بالعباد حتى في حق الله عليهم مما يستوجب المحبة لله تعالى من العبد عرفانا وإيمانا وذلا وخضوعا ولذا فإن هذا يسوقنا إلي بيان مراتب المحبة وأسبابها الدافعة لها .

---

[1] سورة الأنعام (٥٤)

لقد كان كتاب الله تعالي .وكذلك سنة النبي ﷺ ( قاموساً للنحاة واللغويين ، ومثار فلسفة للباحثين والمفكرين وذكراً يتقرب به المبتهلون والمتضرعون وقانوناً يرجع إليه المشرعون ، وعقيدة يحتج بها المتكلمون [١]

لذا فقد ثار نقاش طويل بين المستشرقين يتعلق بأثر القرآن والسنة المطهرة في تكوين نظريات الإسلام الصوفية ، وهم في هذا فريقان : فريق ينكر هذا الأثر وآخر يثبته ففي مقدمة الجانب الأول يقف المستشرق ــ البارون كارادي فو ، وفي مقدمة الفريق الثاني يقف ماسينيون ومرجليوث . ولكن في نهاية الأمر قد استوعب الدارسون المتحققون أنه لا يجب أن نسلّم [بإبعاد القرآن رأساً عن النظريات الصوفية ، كما لا نوافق علي عده وحده كفيلاً بخلق تصوف كامل ] [٢]

وقد حاول المتشيعون لإرجاع كل عمل وفكر صوفي إلي القرآن والسنة واعتبارهما أساس الفناء وأن أصوله فيهما لاشك في هذا . مع أن لفظ الفناء لم يرد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في قوله تعالي [كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ] [٣] إلا أنه من الصوفية من حمل معاني بعض الآيات علي فكرة الفناء في الله تعالي ــ كما في قوله تعالي [ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ] [٤] وقوله تعالي [إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّــا إِلَيْهِ رَاجِعونَ] [٥] .

---

[١] د/ إبراهيم مدكور [ في الفلسفة الإسلامية ــ منهج وتطبيق ] الجزء الأولي ، صـــ ٥٩ ، الطبعة الثالثة ــ دار المعارف ــ مصر ، ١٩٨٣م .

[٢] السابق ــ صـــ ٦٠ .

[٣] سورة الرحمن : ٢٣.

[٤] سورة البقرة : ٢٨ .

[٥] سورة البقرة : ١٥٦ .

وقوله [وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] [1][2] [وقوله [وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ] [3] وقوله [وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى] [4] ولم يكن هذا الإرجاع والتأويل في الآيات إلا تعسفاً وإلزاماً للنص القرآني بأفكار صوفية مسبقة مستخدمين فيها التأويل بالرأي[5] لتأصيل فكرتهم .

وقد كانت قصة النسوة مع يوسف عليه السلام وقصة موسي عليه السلام وهو يناجي ربه وأيضاً قصة الإسراء والمعراج مجالاً خصباً لدي المتصوفة لإثبات أن حال الفناء عن النفس له أصل قرآني فنسوة [ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَـذَا بَشَرًا إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ] [6] [ أي قطعن أيديهن من شدة ما غلب عليهن من روعة جمال يوسف ، فوصفنه بأنه ليس بشر وهو بشر ، وبأنه ملك وما هو بملك ، [7] وهكذا أيضاً كان فناء موسي عليه السلام [ وهو أشد حال من نسوة امرأة العزيز فقد كان فناؤه نوعاً من الصعق المصاحب مما أفقد موسى وعيه تماماً وغيبه عن الدنيا وما فيها ] [8] قال تعالي [ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا ] [9]

---

[1] سورة يونس : ٥٦ .

[2] سورة هود : ٣٤ .

[3] سورة العنكبوت : ٢١ .

[4] سورة النجم : ٤٢ .

[5] والتفسير بالرأي يقابل التفسير بالمأثور وهو التفسير المأثور عن صحابة الرسول ، أما التفسير بالرأي فهو المنسوب إلي الفرق الكلامية ، إذ يؤول المتكلم الآية لمعتقده المذهبي وغالباً ما يكون تأويله متعسفاً ( انظر د/ أحمد محمود صبحي ـــ [ التصوف إيجابياته وسلبياته ] صـــ ٤٢ ، سلسلة كتابك رقم ١٦٩ ، دار المعارف ـــ مصر ، ١٩٨٤م .

[6] سورة يوسف : ٣١ .

[7] د/ أبو العلا عفيفي ( التصوف الثورة الروحية في الإسلام ) صـــ ١٨٤ ، الطبعة الأولي ـــ دار المعارف ، ١٩٦٣م .

[8] د/ إبراهيم محمد ياسين ( حال الفناء في التصوف الإسلامي ) ، صـــ ٢١ ، دار المعارف ـــ ١٩٩٩م .

[9] سورة الأعراف : ١٤٣ .

وكان تدكدك الجبل : [ هو اضمحلال رسمه عند ورود نور التجلي عليه و " [الصعق] " فناء في هذه الحالة لهذا الوارد المفني لبشرية موسى عليه الصلاة والسلام ] [١]

وأما عن حادثة الإسراء والمعراج ــ فهي أيضاً من أخبار القرآن التي تأولها الصوفية وادعوا أنها دليل علي ذكر القرآن الكريم لحال الفناء حتي اختلف الناس فيها فرق ــ ففريق قال إنها كانت بالروح والآخر قال إنها كانت بالروح والجسد معاً والحقيقة أن الحق تعالي جل شأنه لم يترك هذه القضية خاضعة لتأويل المتأولين فمن يرجع إلي الآية الكريمة في سورة الإسراء وهي قوله تعالي [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً] [٢]( يستطيع أن يدرك بسهولة أن الإسراء كان بالروح والجسد معاً ) [٣] ولو كان بالروح وحدها لقال جل شأنه [ سبحان الذي أسرى بروح عبده ــ بدلاً من عبده فقط ــ وحاشا لله وهو الحنان المنان ولا يوجد ما يمنعه عن الفعل إذا أراده أو عن القول إذا قاله [٤]

وأما في السنة النبوية فمن الثابت أن الرسول ﷺ هو أكمل الأمة بل أكمل البشر قاطبة ومن غير المعقول أن يعتريه الفناء فيذهله عن حياته أو عن دعوته ( والإسلام يطالب بإثبات الذات لا إماتة النفس ، والرسول ﷺ

---

(١) الإمام ابن القيم ( مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ) ، صـ ٢٣٩ ، طبعة المنار ، مصر ، الجزء الثالث .

(٢) الإسراء : ١ .

(٣) د/ إبراهيم محمد ياسين ( حال الفناء في التصوف الإسلامي ) ، صـ ٢٦ ــ دار المعارف ١٩٩٩م .

(٤) والواضح من قصة الإسراء والمعراج أنها كانت بالجسد والروح معاً وقد جمع الحافظ جلال الدين السيوطي الأحاديث الواردة في قصة الإسراء والمعراج في كتاب أسماه [ الآية الكبرى في شرح قصة الإسرا. ] وقد كان جبريل عليه السلام كلما استفتح به سماءاً قيل له ومن معك ــ قال محمد قيل وهل بعث إليه ــ يقول نعم بعث إليه فيفتح له وهذا عند كل سماء [ انظر ــ الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي ــ الآية الكبرى في شرح قصة الإسرا ، حققه ــ محي الدين مستو ــ دار ابن كثير ــ دمشق ومكتبة دار التراث ــ المدينة المنورة / طبعة ٢ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

هو المثل الأعلي للإنسان الكامل لتأثيره العظيم والعميق في تاريخ البشرية لا لأنه أفني إنِّيَّتَهُ ) [1] وقد حاول الدكتور محمد مصطفي حلمي في كتابه [ الحياة الروحية في الإسلام ] أن يوحي بأن النبي صلوات الله عليه كانت تنتابه حال شبيهة بحال الفناء التي تحدث عنها الصوفية هذا إن لم يكن فناءاً حقيقياً يقول [ حدث أن دخلت عائشة زوج النبي ﷺ ــ عليه وهو في حال تشبه الوجد فلما رآها سألها من أنت ــ فأجابته قائلة أنا عائشة فسألها ثانية من عائشة فأجابته قائلة ابنة الصديق ولكن النبي عاد فتساءل مرة أخري ومن الصديق فكان الجواب هو صاحب محمد ولكن عندما سألها ومن محمد ؟ لزمت الصمت لأنها علمت عندئذ أنه لم يكن في حالة عادية ] [2] ويدعي الدكتور ( محمد مصطفي حلمي ) أنه لو صحت الرواية فإنه يمكن القول بأن الرسول كان يعاني حالات تشبه الوجد وما يحصل بسببه من غيبة الإنسان عن نفسه وعما يحيط به وفي الحقيقة أن هذا الفناء لا يجوز في حق الرسول ﷺ حيث أنه أوتي من الكمال ما يدفع هذه الأقوال والذي عليه المحققون أن النبي ﷺ [ لم يعان مطلقاً حالاً من أمثال الفناء المقترن بغيبة عن النفس أو المقترن بوجد حاد [3] .

بل كان كما وصفه الله عز وجل بقوله " مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى* لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى " [4] ومع هذا [ لم يتغير عليه حاله ، ولم يعرض له صعق ، ولا غشي بل نراه ، يخبرهم عن تفصيل ما رأي ، غير فان عن نفسه ، ولا عن شهوده ] [5]

---

(1) د. أحمد محمد صبحي ( التصوف إيجابياته وسلبياته ) ،صـ ٧ .

(2) د/ محمد مصطفي حلمي ( الحياة الروحية في الإسلام )( صـ ١٦، طبعة القاهرة ، ١٩٧٥م .

(3) د/ إبراهيم محمد ياسين ، حال الفناء في التصوف الإسلامي ، صـ ٢٥ .

(4) سورة النجم : آية ١٧، ١٨ .

(5) ابن تيميه : مجموعة الرسائل والمسائل ، ج٢ ، صـ ٧٤ ــ دار الفكر ــ بيروت .

وبالجملة فإن البحث عن بذور لحال الفناء في حياة الرسول ﷺ ــ الروحية وفي المرويات عنه هو من [ الأخبار التي لا يمكننا قبولها ] [1] وكل ما يمكننا قوله [ إن حياة محمد ﷺ ــ كانت الفناء لذاته في العبادة والنسك وليست فناءاً يفقد فيه وعيه وشعوره ومهما حكي عن صحابة الرسول ﷺفإن أحوالهم تبقي في نطاق الزهد والخوف يستوي في هذا حارثه وأبو ذر الغفاري الذي يحكي أنه كان يظل طوال نهاره يتفكر فيما هو صائر وحذيفة ابن اليمان [2] الذي وصفه أبو نعيم بقوله : [ سكن عند الفاقة والعدم وركن إلي الإنابة والندم ] [3] .

---

[1] د/ إبراهيم محمد ياسين ــ ( حال الفناء في التصوف الإسلامي ) ، صـ ٢٦ .

[2] المرجع السابق ، صـ ٢٧ .

[3] أبو نعيم الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج١ ، صـ ٢٧٠ ــ مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٣٢م .



obeikandl.com